مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:26 عدد:4 (رت 66) السنة:2022

مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش
من خلال تفسيره نفحات الرحمان

Ways to understand the problematic verses in the Qur'an according to Mohammed Kaabash through his interpretation Nafahat Al Rahman

سلسبيل نصيرة[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
مخبر البحث في الدراسات القرآنية والسنّة النبوية
salsabil9715@gmail.com
د.هشام شوقي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
h.chougui84@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/10/13 القبول 2022/03/09 النشر على الخط 2022/05/10
Received 13/10/2021 Accepted 09/03/2022 Published online 10/05/2022

ملخص:

تناولنا في هذا المقال مسألة مشكل القرآن عند المفسر الإباضي المعاصر "محمد بن ابراهيم كعباش"، من خلال تفسيره "نفحات الرحمان في رياض القرآن"، حيث سعينا لمعرفة المسالك التي اتبعها في هذه القضية، لنصل في الأخير إلى أنه اعتمد أربعا: أولا الجمع الذي يقوم على العمل بالآيتين معا، ثم النسخ الذي يستند أساسا إلى معرفة تاريخ نزول الآي والعمل بالمتأخر منها، ثم الترجيح الذي يعتمد على قرائن خاصة وقواعد تفسيرية معينة، وفي الأخير التوقّف الذي ينهجه في حالة عدم ظهور راجح على مرجوح عنده.

الكلمات المفتاحية: مسالك_ مشكل القرآن_ نفحات الرحمان _ كعباش.

Abstract:

In this article, we dealt with the problematic Qur'anic verses question, according to the contemporary Ibadhi interpreter Mohammed Ibn Ibrahim Kaabash through his interpretation: Nafahat Al Rahman Fi Riyadh Al Qur'an (The Merciful's Inspirations in Qur'an's Gardens), in which, we sought to know the methods he relied on in this matter; to arrive at the end that he depended on four as so: First of all, the combination based on the two verses applied together. Then, the abrogation which is mainly built on knowing the chronicles of verses's revelation and selecting the recent one. Next, the preponderance/ over balance/ arbitrage consisted on specific references and certain interpretative rules. Finally, the being neutral and hesitated method, that he used in case he wasn't managed to elicit the preponderant meaning.

Keywords: Methods_ the problematic Qur'anic verses _Nafahat Al-Rahman _Kaabash

[1]– المؤلّف المراسل: سلسبيل نصيرة البريد الإلكتروني:salsabil9715@gmail.com

1. مقدمة:

أحاط المسلمون القرآن الكريم منذ بدايات نزوله بالعناية الفائقة حفظا وعلما وعملا، فأسسوا العديد من العلوم الخادمة له؛ منها علم مشكل القرآن الكريم الذي يهدف لدفع التعارض المتوهم، وإيضاح المعاني المضمرة، والتأليف بين ما ظاهره التناقض والاختلاف .

إذا نظرنا إلى مؤلفات العلماء في هذا الباب نجدها على ضربين: التأليف المستقل كتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، التأليف المشتمَل في التفسير، حيث حاولوا توضيح كل مشكل في موضعه.

وقد كان للمفسرين الجزائريين إسهام في هذا الباب، ومن هؤلاء "محمد بن ابراهيم كعباش" حيث ألف تفسيرا كاملا أسماه "نفحات الرحمان في رياض القرآن"، اعتنى فيه بدفع الإشكال عن آي القرآن الكريم، فعزمنا على جمع تلك المواضع وبيان المسالك التي اتبعها في هذه القضية، وهذا من خلال الإجابة عن الإشكالية الآتية:

ما المسالك التي اعتمدها "محمد بن ابراهيم كعباش" في تفسيره "نفحات الرحمان" لدفع الإشكالات عن آي القرآن ؟

الفرضيات:

1. انتهاج كعباش مسلك مغاير للمفسرين في دفع الإشكال، وذلك بما يتناسب مع مذهبه العقدي.
2. اتباع كعباش مسلك المفسرين السابقين له ولم يؤثر المنهج العقدي المغاير في طريقة دفع الإشكال.

الأهداف:

1. التعريف بعلم جزائري له باع في العلم.
2. الكشف عن مسالك دفع مشكل القرآن عند كعباش.
3. التعرف على الأثر العقدي لكعباش في معالجة مشكلات القرآن.

المنهج المتبع:

المنهج الإستقرائي: ويظهر ذلك في تتبع مواضع الإشكال في كتاب نفحات الرحمان.

المنهج التحليلي: ويبرز ذلك في عرض المواضع وكشف المسالك المتبعة.

خطة البحث:

المبحث الأول: التعريفات

سنتناول فيه ثلاث مسائل هي: التعريف بمشكل القرآن، وترجمة مختصرة للمفسر محمد كعباش، ثم تعريف بتفسيره "نفحات الرحمن" .

المبحث الثاني: مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش.

سنتناول فيه أربع مسائل تتضمن كلّ واحدة طريقة لدفع المشكل وهي: الجمع، والنسخ، ثم الترجيح، ثم التوقف .

2. المبحث الأول: التعريفات.

سنقدم في هذا المبحث تعريفات مختصرة لكل من مشكل القرآن الكريم وكذا المفسر محمد سعيد كعباش وكتابه نفحات الرحمان.

1.2 المسألة الأولى: تعريف مشكل القرآن الكريم:

– المشكل لغة: جاء في الصحاح: في مادة (ش ك ل): "الشَكْلُ بالفتح: المِثْلُ، والجمع أَشْكالٌ وشُكولٌ. يقال: هذا أَشْكَلُ بكذا، أي أَشْبَهُ . والشِكْلُ بالكسر: الدال . يقال: امرأة ذات شكل . والأَشْكَلُ من الشاءِ: الأبيضُ الشاكِلَةُ، والأنثى شَكْلاءُ بيِّنَةُ الشَكَلِ .

والشَكْلاءُ: الحاجةُ، وكذلك الأَشْكَلَةُ . يقال: لنا قِبَلَكَ أَشْكَلَةٌ، أي: حاجةٌ . والشُكْلَةُ: كهيئة الحُمْرَةِ تكون في بياض العين، كالشُهْلَةِ في سوادها . وعينٌ شَكْلاءُ بيِّنة الشَكَلِ، ورجلٌ أَشْكَلُ العينِ . ودمٌ أَشْكَلُ، إذا كان فيه بياضٌ وحُمْرَةٌ" .[1]

من خلال هذا النص نجد أن المشكل في اللغة يدور حول معان ثلاثة هي: الاختلاط والالتباس والدخول في الأشباه . ولكل معنى منها علاقة بالمعنى الاصطلاحي كما سيأتي.

– مشكل القرآن الكريم في الاصطلاح:

تنوعت تعريفات المشكل باختلاف العلم المنسوب إليه، إلا أننا سنقتصر على المراد بالمشكل في مصنفات علوم القرآن، التي بدورها قد تعددت فيها. والمختار عندنا هو تعريف عبد الله حمد منصور حيث قال:" هو التباس معاني الآيات واشتباهها على كثير من المفسرين فلا يعرف معناها إلا بالطلب والتأمل" [2] ؛ لأن صاحبه استقر عليه بعد عرض ونقد لتعريفات مختلفة، فكان جامعا لحقيقة المشكل، شاملا لكل انماطه سواء كان تعارض بين آيات الذكر الحكيم أو كان خفاء معنى الآية أو أي اشكال يطرأ عليها.

2.2 المسألة الثانية: ترجمة الإمام كعباش:

هو محمد بن إبراهيم سعيد المعروف بـ "كعباش"، من مواليد بلدية العطف ولاية غرداية بالجزائر .

ولد سنة 1929م، اعتنت به أمه بعد أن توفي والده وهو بعمر السنتين، فحرصت على تنشئته على حب الله ورسوله وعلى حفظ كتاب الله في سن مبكرة، وقد وهبه الله ذاكرة قوية وذكاء لامعا، فارتحل إلى معهد القرارة للدراسة على بيوض، ثم إلى تونس حيث درس العلوم العربية والشرعية في الجامع الزيتوني ودرس العلوم التطبيقية في المعهد الخلدوني، كما حصل على شهادة الليسانس في الأدب العربي في أوائل السبعينيات من جامعة جزائرية .

وقد استفاد من شيوخ كثر أثناء مسيرته العلمية منهم: في التفسير: إبراهيم بن عمر بيوض، محمد الطاهر بن عاشور، و محمد الزغواني . وفي أحكام القرآن: البشير النفير، وفي مقاصد الشريعة: اللقاني، وفي أصول الفقه: أحمد بن ميلاد .

بدأ العمل في مجال التربية والتعليم حيث عمل أستاذا ومديرا في القطاع الديني الحر في فترة الاستعمار، ثم في القطاع العمومي بعد الاستقلال الوطني، إلى أن تقاعد عن العمل سنة 1990م .

ثم انخرط عضوا رسميا في حلقة العزابة للمسجد الجامع بالعطف سنة 1958م، ثم عينته الحلقة إماما ومرشدا، كما كان يقوم بمهمة الإصلاح الديني والاجتماعي، وكذلك يهتم بتجلية معاني كتاب الله وسنة رسوله على منبر المسجد . كما اشتعل مرشدا وخطيبا للجمعة منذ سنة 1975م، وهو يواصل دروس الوعظ والإرشاد وتفسير القرآن الكريم بالجامع العتيق لبلدة العطف، وكانت دروسه المسجدية تنقل عبر خيوط الهاتف لباقي مساجد البلدة فيستفيد منها الجميع .

إضافة إلى ذلك شغل منصب عضو في إدارة جمعية النهضة التي يعود إليها فضل تحفيظ القرآن للناشئة وتعليم اللغة العربية منذ 1945م، كما يعتبر مجاهدا في الثورة التحريرية حيث كان له شرف العضوية في المجلس البلدي الثوري سنة 1961م .[3]

---

[1] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط: 4، 1407 هـ - 1987 م، (5/ 1736)

[2] عبد الله حمد منصور، مشكل القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض_السعودية، ط1، 1426هـ، 77.

[3] ينظر: محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، نفحات الرحمان في رياض القرآن، جمعية النهضة، غرداية–الجزائر، د.ن، (14/574_575). رقية دريردي، القصص القرآني من خلال التفاسير الإباضية الحديثة والمعاصرة، تحت إشراف:حدة سابق، رسالة دكتوراه،غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، كلية أصول الدين، 2020/2019م، (140)

3.2 المسألة الثالثة: التعريف بكتاب "نفحات الرحمان":

يعد كتاب نفحات الرحمان في رياض القرآن، من التفاسير الجزائرية الكاملة المعاصرة، وإضافة مميزة للمكتبة الإباضية الجزائرية، صدر هذا التفسير سنة 1426هـ الموافق لـ 2005م، عن جمعية النهضة بغرداية، في أربعة عشر مجلد .

بالنسبة لأهم السمات العامة لمنهج كعباش في كتابه، فهي أقرب ما يكون إلى طريقة التفسير التحليلي؛ إما في كيفية عرض المادة العلمية التي هي كالتالي:

1- يقسم آيات السورة إلى مقاطع حسب المواضيع ويعنون كل مقطع بعنوان مستقل .

2- يبتدأ بذكر آيات المقطع المراد تفسيرها، تحت عنوان النص .

3- يليه عنوان "التحقيق اللغوي"؛ ويراد به شرح غريب المفردات القرآنية الواردة في آيات المقطع، و قد يتطرق أحيانا إلى أصل المفردة ووجوهها حسب ما تقتضيه الحاجة .

4- يليه "أوجه القراءة"؛ فإن كانت الآيات الكريمة تحوي قراءات مختلفة بسط القول فيها تحت هذا العنوان، فإن لم يكن اختلاف في القراءات يستغني عنه .

5- إن كانت القراءات تحتاج توجيها سماه" حول مبنى النص وأوجه القراءة" .

6- إن كانت الآية تحوي سبب نزول يفرد لها عنوان:" سبب النزول" .

7- إن كان المؤلف يريد أن يبين مناسبة الآيات لما قبلها عنون ذلك بـ"بين يدي النص" أو" وجه التناسب والاتصال" أو " مناسبة النص واتصال" .

8- إذا أراد أن يستفيض في ذكر القصة بعيدا عما هو في الآيات عنون ذلك بـ :"بين يدي القصة"

أو في كيفية التفسير التي هي كالتالي:

1- يتبع طرق التفسير المعروفة ابتداء من تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة .

2- يعتمد أقوال الصحابة، ولا يهتم بذكر الإسرائيليات .

3- يبرز رأيه غالبا بقوله :"قلت"، "فيما يبدو" .

4- يبرز توظيفه للغة في شرح المفردات، وتوجيهه للقراءات والأوجه الإعرابية .

5- لا يفوّت فرصة النقل عن الإمام اطفيش ولا يذكره باسمه بل يدعوه بـ:"قطب الأئمة".

6- يستعين بالمفسرين أمثال محمد الطاهر بن عاشور، محمد رشيد رضا، محمد عبده و الزحيلي.

3. المبحث الثاني: مسالك دفع مشكل القرآن عند محمد كعباش .

سلك محمد كعباش في دفعه لمشكل القرآن أربع مسالك معروفة عند العلماء المتقدمين والمعاصرين، تفصيلها كما يلي:

1.3 المسألة الأولى: مسلك الجمع:

إن "مسلك الجمع" أول ما اتبعه كعباش؛ فهو محاولة التوفيق بين الآيات التي ظاهرها التعارض والقول بمضمونها جميعا دون أن يبدو تعارض بينها، فالجمع هو "إعمال الدليلين المتعارضين بحمل كل منهما على وجه " . [1]

[1] الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط:1، د.ن، (22/ 100)

وقد اتفق العلماء على تقديمه عن غيره لما فيه من عدم إهمال نص شرعي ودلالته، قال القرافي:" إذا تعارض دليلان فالعمل بكلّ واحد منهما من وجه أولى من العمل بأحدهما دون الآخر"[1]، وقال الشنقيطي:" إن الجمع بين الأدلة واجب متى ما أمكن، لأن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما"[2] ؛ لهذا فإن المفسرين تتابعوا على استعمال هذه القاعدة عند مواجهة استشكال التعارض، وسار على نهجهم كعباش؛ والذي جنح بدوره في تفسيره إلى استعمال قاعدة:" الجمع أولى من الترجيح" التي هي تطبيق عملي لهذا المسلك، وذلك للتوفيق بين ما ظهر تعارضه من الآيات الكريمة، ودفع تناقضها المتوهم، وفيما يلي تطبيق من المفسر لها:

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم: 71].

هذه الآية الشريفة من الآيات التي كثر توقف المفسرين عندها، وتشعبت فيها آراءهم؛ ذلك أنها توهم بظاهرها أنه ما من بشر مؤمنا كان أو كافرا إلا وسيدخل نار جهنم، وهذا معارض لما جاءت به آيات آخرى تفيد أن أهل الإيمان والتقوى مبعدون عن النار؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾]الأنبياء: 101].[3]

لم يفوت كعباش الحديث حول هذه القضية لما فسر الآية، حيث فصّل الآراء مبتدئا باختلافهم في معنى الورود من قوله تعالى"واردها"؛ فقال: " ومعنى الآية في غاية الدقة ووقوع الاحتمالات فيه ذلك أن كلمة" واردها" وهي من الورود وهو يجيء لمعنين:

أ – أن تذهب إلى مصدر الماء للسقيا دون أن تشرب منه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القصص: 23].

ب – ومن العلماء من يقول: إن "ورد" بمعنى أتى الماء وشرب منه، كما قال تعالى في شأن فرعون: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [هود: 98].[4]"

وهناك أقوال أخرى في الآية ذكرها ابن الجوزي وهي أن الورد في القرآن على خمسة أوجه : أحدها : الدخول . والثاني: الحضور . والثالث: البلوغ . والرابع : الطلب . والخامس : العطش .[5]

والملاحِظ لهذا التفريع يرى أن كعباش يعتبر لفظة" واردها" من المشترك اللفظ، ولذلك اقتصر على المعنيين الذين هما الأقرب إلى أن تحتملهما الآية وهما: البلوغ والدخول، ولم يذكر الوجه –الحضور– رغم شدة احتماله لأنه ممن يرى أن الدخول تضمن الحضور، وقد أشار إلى هذا المعنى ابن الجوزي بقوله :" وقد ألحقه قوم –الحضور– بالقسم الذي قبله –الدخول– " .[6]

انطلاقا من هذين الاحتمالين في معنى الورود انقسمت آراء المفسرين إلى قولين؛ قال كعباش:"

---

[1] القرافي، الذخيرة، ت:جزء 1، 8، 13: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط:1، 1994 م، (1/ 135)

[2] محمد الأمين الشنقيطي ،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 م، (1/ 431)

[3] ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، توزيع : مكتبة الخراز – جدة، ط:1، 1417 هـ - 1996 م، (147)

[4] كعباش، نفحات الرحمان، (344/8)

[5] جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط:1، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي – 1404هـ - 1984 م، (611)

[6] ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، (610)

1- على الاحتمال الأول : يكون المعنى أن المخاطبين وهم جميع الخلائق مؤمنهم وكافرهم يحومون حول النار دون دخولها، وفسروا ذلك بالمرور على الصراط المضروب على متن جهنم .

وقد وردت في ذلك أحاديث عن رسول الله؛ منها ما أخرجه ابن ماجه والحاكم والديلمي عن أبي سعيد الخدري، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بوضع الصراط بين ظهراني جهنم . عليه حسك كسك السعدان، ثم يستجيز الناس، فناج مسلم، ومخدوش به ثم ناج، ومحتبس به ومنكوس ومكدوس فيها »[1]، لأن المؤمن يشعر بفضل الله ومنته عليه إذا ما رأي النار وقد أنجاه منها بما قدمه من إيمان و عمل صالح، كما قال تعالى: ﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾ [آل عمران: 185].[2]"

وقد ورد عن ابن مسعود والحسن وقتادة أن معناه : هو الجواز على الصراط ؛ لأنّ الصراط ممدود عليها[3] . وذكره البيضاوي فقال: "قيل: ورودها الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها ".[4]

ربطُ الإمام كعباش بين الاحتمال اللغوي الأول للفظ -أن تذهب للمصدر دون أن تشرب منه- وبين قول المفسرين: أنهم يحومون حول النار، موافق لتخريج الرازي حيث قال: "فقال بعضهم الورود الدنو من جهنم وأن يصيروا حولها وهو موضع المحاسبة؛ واحتجوا على أن الورود قد يراد به القرب بقوله تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ ١٩ ﴾ [يوسف: 19]. ومعلوم أن ذلك الوارد ما دخل الماء، وقال تعالى:﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ ٢٣ ﴾ [القصص: 23]، وأراد به القرب ويقال وردت القافلة البلدة وإن لم تدخلها فعلى هذا معنى الآية أن الجن والإنس يحضرون حول جهنم" .[5]

قال كعباش:" وعلى الاحتمال الثاني : أي أن الورود بمعنى الدخول أن النار تكون على المؤمنين بردا وسلاما فينجيهم الله منها ويترك الكافرين. أو يعذب المؤمن فيها على قدر ذنوبه ثم ينجيه الله بعد ذلك إلى الجنة وفق القائلين بعدم خلود المؤمن في النار" .[6]

يعود سبب إشكال الآية إلى ارتباطها بمسألة "المؤمن العاصي حكمه ومصيره"، وهذه الأخيرة من بين أهم المسائل التي اختلفت حولها الفرق الإسلامية، فتعدد تأويل الآية كلٌّ حسب وجهة نظره، وقد أشار كعباش إلى هذا الاختلاف الحاصل بقوله:" أو يعذب المؤمن فيها على قدر ذنوبه ثم ينجيه الله بعد ذلك إلى الجنة وفق القائلين بعدم خلود المؤمن في النار"[7]، فأشار إلى أن القول بأن المؤمن العاصي يعذب بقدر أعماله في الدنيا ثم ينجى منها موافق لمن يرى من الفرق أن العاصي لا يخلد في النار، وهذا مخالف لما يراه الإباضية من خلود العاصي الغير التائب في النار .

---

[1] رواه بن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر البعث، رقم: 4421.

[2] كعباش، نفحات الرحمان، (344/8)

[3] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت_لبنان، د.ن.، (3/ 36)

[4] ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1 ، 1418 1418 هـ، (4/ 29)

[5] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط:3، 1420 هـ، (21/ 207)

[6] كعباش، نفحات الرحمان، (345/8)

[7] كعباش، نفحات الرحمان، (345/8)

وقد أوضح ابن فرس هذا التباين في تفاسير الفرق فقال: "وتحقيق القول في هذه المسألة على مذهب أهل السنة الذين لا يرون إنفاذ الوعيد واجبًا، إذ المراد بالآية عصاة المؤمنين إذا شاء الله أن ينفذ وعيده فيهم. وأما على قول المعتزلة الذين يرون إنفاذ الوعيد فيكون العصاة مخلدين في النار، تعالى الله عز وجل عن ذلك. وأما على قول الخوارج المكفرين بالذنوب فحالهم في ذلك حال الكفار، تعالى الله سبحانه عن ذلك. وكلهم يتأول الآية على مذهبه، والصحيح ما ذكرنا. وأما على قول المرجئة فيرون الآية في الكفار لأن من قال: لا إله إلا الله، لا يدخل عندهم النار".[1]

ثم عبر عن إعجابه بقو ل الإمام ابن عاشور[2]، حين نفى أن تكون الآية في الناس جميعا محتكما في ذلك إلى سياق الآيات فقال كعباش نقلا عن ابن عاشور:" إلى أن يقول : فليس الخطاب في قوله:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ ؛ لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم على معنى ابتداء كلام، بحيث يقتضي أن المؤمنين يردون النار مع الكافرين تم ينجون من عذابها، لأن هذا معنى تقيل ينبو عنه السياق، إذ لا مناسبة بينه وبين سياق الآيات السابقة، ولأن فضل الله على المؤمنين بالجنة وتشريفهم بالمنازل الرفيعة ينافي أن يسوقهم مع المشركين مساقا واحدا" . ثم يقول فموقع هذه الآية هنا كموقع قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحجر: ٤٣] . عقب قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر:٤٢]. فلا يتوهم أن جهنم موعد عباد الله المخلصين مع من تقدم ذكره لأنه ينبو عنه مقام الثناء ".[3]

أردف قول ابن عاشور بقول الإمام طفيش الموافق له في المذهب حيث أوضح أنه لم تصح عند الإباضية أحاديث دخول المسلمين النار، فقال :"ويقول القطب : " قلت : ولم تصح عندنا أحاديث دخول المسلمين فيها وقولها : " جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهيبي "، أخرجه الترمذي والطبراني والبيهقي وابن مردويه، وأنها يرد عليه، وأن لها ضجة من برده، ولا ينافس حضورهم حولها قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنبياء: 101]، لأن المراد إبعادهم عن عذابها أو إبعادهم عنها بعد أن يكونوا قريبا منها ."[4]

ثم خلص في الأخير إلى جَمعٍ نسبه لابن عاشور و طفيش؛ في أن المراد بالورود في الآية هو للكفار فقط وهذا ما دلت عليه قراءة ابن عباس. وإن كان الخطاب مراد به جميع الخلائق فمعنى الورود المرور بلا دخول .

الورود حسب ما يرى كعباش بعد عرض الأقوال أن ورود الكفار على جهنم دخولها، بل وقد نسب الطبري القول بـ : أن الورود عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور وأن ورود المؤمنين عليها مرورا، لابن زيد فقال: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها، قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الزالون والزالات يومئذ كثير، وقد أحاط الجسر سماطان من الملائكة، دعواهم يومئذ يا الله سلم " [5].

---

[1] ابن الفرس الأندلسي، أحكام القرآن، ت: طه بن علي بو سريح وآخرون، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط:1، 1427 هـ - 2006 م. (3/ 277)

[2] محمد الطاهر بن عاشور ، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ، (16/ 149)

[3] كعباش، نفحات الرحمان، (345/8)

[4] المرجع نفسه، (346/8)

[5] أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط:1، 1422 هـ - 2001 م، (15/ 596)

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾] آل عمران: 102]، هذه الآية تدل على التشديد البالغ في تقوى الله تعالى، وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ١٦ ﴾ [التغابن: 16].

قال كعباش إثر تفسيره للآية: "قد يضعف الإنسان أمام المغريات الفاتنة وهو الظلوم الجهول، والمتحسر العجول، وبعد ذلك التحذير من الانخداع لوساوس أهل الكتاب جاء التحريض للمؤمنين على تمام التقوى والتزامه حتى الموت، وهو أمر قد يشق على كثير من الناس، ولذا ذكر بعض المفسرين أنه لما نزلت هذه الآية قال الصحابة : يا رسول الله، من يقوى على هذا ؟. وشق عليهم ذلك . فأنزل الله عز وجل: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ١٦ ﴾. قالوا : فنسخت هذه الآية" .[1]

بعدما انتهى من ذكر الرأي الأول القائل بنسخ الآية الأولى بالثانية، نفى أن يكون تعارض بين الآيتين يستلزم النسخ، وذكر إمكانية الجمع فقال:" ولكن بعض المحققين لا يرون النسخ إذ لا تعارض بين الآيتين في المعنى بل الثانية بيان للأولى بمعنى أن الأمر الإلهي بتقواه حق التقوى أن لا يكون فيها أي تقصير من المؤمن، وهو معنى قوله : "اتقوا الله ما استطعتم"، وقد فسرها ابن مسعود بقوله : أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا كفر، ويذكر فلا نسى".[2]

2.3 المسألة الثانية: مسلك النسخ:

المسلك الثاني الذي اتبعه كعباش في دفع المشكل هو "النسخ"، وذلك يكون بعد استحالة الجمع فينتقل إلى البحث عن تاريخ الآيات، وإمعان النظر فيه ليخلص إلى ترتيبها زمنيا، والقول بأن المتأخر نسخ المتقدم. والنسخ هو: "مطلق التغيير الذي يطرأ على بعض الأحكام، فيرفعها بأحكام أخرى تحلُّ محلها، أو يخصِّصُ الأحكام بعد أن كانت عامة، أو يقيدها بعد أن كانت مطلقة، فالنَّسْخُ عندهم يشمل الرفع الكلي، والرفع الجزئي" [3]، وفي ما يلي بعض الأمثلة التوضيحية.

المثال الأول:

في قوله تعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ﴾ [الحج: 39]، هذه الآية الكريمة تدل على أن قتال الكفار مأذون فيه لا واجب، وقد جاءت آيات تدل على وجوبه كقوله تعالى:﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ٥ ﴾ [التوبة: 5]، وقوله:﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦ ﴾ [التوبة: 36]، إلى غير ذلك من الآيات .[4]

---

[1] كعباش، نفحات الرحمان، 2/364))

[2] كعباش، نفحات الرحمان، 2/364))

[3] محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط:2، 1419هـ-1999م، (244)

[4] دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب،الشنقيطي، (158)

بعد أن فسر محمد كعباش هذه الآية الشريفة بقوله:" فلا مناص من المواجهة بين الخير والشر، إذ ما يزال الباطل ينتفش ويجمح للبطش، ولا بد للحق أن يعد عدته ماديا ومعنويا لرد العدوان وكبح جماح الباطل، فبعد أن بلغ عدوان المشركين مداه على رسول الله وأصحابه، وبعد أن استقروا بالمدينة المنورة، جاء الإذن الإلهي لهم بالقتال حتى يردعوا الفتنة" .[1]

أردف بيانه بـ:" ويترجح أن هذه الآية هي الأولى من أمثالها في القرآن الكريم، يأذن الله فيها للمؤمنين بقتال أعدائهم بعد أن بلغ عدوانهم مداه"[2] ؛ إنما أراد بقوله أنه يرى أن أول ما نزل من الآيات في قتال الكفار هذه الآية، ثم تلتها آيات نسخت حكمها، وهذا ظاهر في تعبيره بـ "الأولى من أمثالها" .

وهنا لا يظهر أنه حكم عليها بأنها ناسخة أو منسوخة، وكل ما تفيده العبارة أنها أول مانزل من الآيات التي أذن الله فيها للمسلمين بقتال المشركين، بعد أن كان الحكم هو العفو والصفح.

فواقع الحال أن الله تعالى في بداية الدعوة طلب من المسلمين العفو والصفح، أي المنع من القتال وذلك في قوله تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة: 109]، ثم أنزل الله سبحانه هذه الآية آذنة بالقتال، وقد ذكر جمع من المفسرين[3] أنها أول آية نزلت في الجهاد، ونسبه الثعلبي للمفسرين فقال: "قال المفسرون : ... فأنزل الله سبحانه هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال"[4] .

ورغم أن كعباش لم يصرح بالنسخ، إلاّ أنه ذكر أنها أول ما نزل من مثيلاتها، ولعله اقتصر عليه لما في الإذن بعد المنع من دلالة على النسخ، وإنما يفسر صنيعه ويوضحه قول الرازي: "هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية"[5]، فقرن الرازي أولية الآية في الإذن بنهي في نيف وسبعين آية؛ ذكر الكرمي أنها كلها منسوخة بها فقال:" قالوا نسخت هذه الآية نيفا وسبعين آية" .[6]

---

[1] كعباش، نفحات الرحمان، 9/154))

[2] المرجع نفسه، 9/154)).

[3] أبو الحسن علي الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق–سوريا، بيروت–لبنان، ط:1، 1415 هـ،(735) سعيد حوّى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة–مصر، ط:6، 1424 هـ، (7/ 3569) ابن أبي زَمَنِين المالكي، تفسير القرآن العزيز، ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ط:1، 1423هـ - 2002م،(1/ 445) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:1394هـ/ 1974م، (1/ 79) محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبه السن، القاهرة– مصر، ط:2، 1423 هـ - 2003 م،(128) الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النَّحَّاس، ت: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، ط:1، 1408هـ،(570)

[4] أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: عدد من الباحثين ، دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، ط:1، 1436 هـ - 2015 م، (7/ 25)

[5] التفسير الكبير، الفخر الرازى، (3206)

[6] مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، ت: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم – الكويت، 1400هـ. (147)، ينظر: النحاس، الناسخ والمنسوخ ، (570)

واقتران الأولية في الإذن بالنسخ بارز في أقوال العلماء قال ابن فارس:"هذه الآية ناسخة للمنع من القتال. وروي عن ابن عباس أنه قال: هي أول آية نزلت في القتال وروي عنه أنها نزلت عند هجرة رسول الله" . [1]

إذن بعد هذا التحليل نخلص إلى أن كعباش وإن لم يصرح بالنسخ إلا أنه أشار إليه متبعا هدي بعض الأئمة في ذلك، كما يجدر الإشارة أنه خالف إمام مذهبهم جابر بن زيد؛ الذي يرى أن الآية منسوخة لا ناسخة؛ حيث قالوا: هي أول آية نزلت في أمر المسلمين بقتال من قاتلهم من المشركين، والكف عمن كفّ عنهم وهذا المفهوم منسوخ بما نزل بعده، وهو قوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣٦﴾ [التوبة: 36]، وقوله ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ١٩١ ﴾ [البقرة: 191]، هذا القول إلى الربيع وابن زيد . [2]

المثال الثاني:

من آيات الأحكام التي ظهر فيها إشكال قوله تعالى:﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥ ﴾ [النساء: 15]، ففي هذه الآية ورد حكم الزانية وهو الإمساك والحبس في البيوت، ولكن ورد في آية أخرى ما يدل بالصريح على حكم آخر للزانية، وذلك في قوله تعالى:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ﴾ [النور: 2]، حيث دلت هذه الآية على أن الزانية لا تحبس إلى الموت بل تجلد مائة جلدة أو ترجم، باعتبار التحصين وعدمه .

ولدفع هذا التعارض الظاهري بين الآيات استدل كعباش برأي العلماء في نسخها؛ فقال:" وأغلب العلماء على أنها منسوخة بقوله تعالى:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ ٢ ﴾ [النور: 2] . [3]

3.3 المسألة الثالثة: مسلك ترجيح .

أما عن ثالث مسلك اتبعه كعباش فهو" الترجيح"، وذلك بعد استحالة الجمع، وعدم إمكانية معرفة الترتيب التاريخي للآيات الكريمة، فيلجأ إلى الترجيح بين مدلولات الآية، وهو: تقوية أحد الدليلين المتعارضين[4] أو هو تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى بدليل[5]، ويظهر توظيف كعباش للترجيح في مواضع كثيرة نذكر منها:

المثال الأول:

---

[1] ابن الفرس، أحكام القرآن، (3/ 310)

[2] ينظر: هميان الزاد إلى دار المعاد للقطب المحمد اطفيش، النسخة الالكترونية www.ketabonline.com ، 092021/10، 02:30، (2/ 233).

عبير بنت عبد الله النعيم، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير – دراسة تأصيلية تطبيقية، دار التدمرية، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط:1، 1436 هـ – 2015 م.،(438)

[3] كعباش، نفحات الرحمان، (3/ 93)

[4] محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط:5، 2001 م، (376)

[5] تقي الدين محمد بن أحمد المعروف ابن النجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير، ت: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط:2، 1418هـ – 1997 م، (4/ 616)

وقد اختلف المفسرون في تفسير مفردة" أحقابا" من قوله تعالى:﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣ ﴾ [النبأ: 23]، وسبب الاختلاف راجع إلى ما تُوهِمُه المفردة من محدودية زمن العذاب الواقع على الطاغين، وهذا يعارض جمعا من الآيات التي تفيد أبدية العذاب .

إلا أن كعباش في هذا الموضع لم يذكر توجيه المفسرين لهذه الآيات المتوهم تعارضها، وذكر ما يراه من تفسيره للمفردة بما يرفع الإشكال عنها فقال: "والأحقاب جمع: "حُقُب" بضمتين أي: الزمن الطويل الذي لا نهاية له، بمعنى: تمضي عليهم الأحقاب تتوالى واحدة بعد الأخرى إلى الأبد" . [1]

ومن خلال قوله يتبين أن الله سبحانه وتعالى أراد بمفردة "أحقاب" التتابع اللامتناهي للأحقاب، وهو أسلوب بديع عبر به عز وجل عن الأبدية بتسلسل لا يعلم حده، وقد نبه السمرقندي إلى بلاغة اختيار المفردة فقال: وإنما ذكر أحقاباً، لأن ذلك كان أبعد شيء عندهم، فذكر وتكلم بما تذهب إليه أوهامهم ويعرفونه، وهو كناية عن التأبيد، أي: يمكثون فيها أبداً" . [2]

حمل السمين الحلبي المعنى على تقدير الحذف فقال :"والمعنى: لابثين فيها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها، فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليها، إذ في الكلام ذكر الآخرة، كما يقال: أيَّامُ الآخرة، أي: أيام بعد أيام إلى غير نهاية، أي: لابثين فيها أزماناً ودهوراً، كُلَّما مضى زمنٌ يعقبهُ زمنٌ، ودهر يعقبه دهر، هكذا أبداً من غير انقطاع" . [3]

وساق الطبري روايات تؤيد هذا المذهب فروى عن الربيع بن أنس أنه قال :"لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله"، وعن قتادة قال:" وهو ما لا انقطاع له، كلما مضى حقب جاء حقب بعده "كما روي عن الحسن أنه سئل عنها فأجاب بـ: أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار" [4]

ويرى الطبري أن هذا الرأي هو أصح الأقوال في دفع التعارض عن قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣﴾ [النبأ: 23]، وقوله: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: 107]، قال: الذي قاله قتادة عن الربيع بن أنس في ذلك أصح فإن قال: فما للكفار عند الله عذاب إلا أحقابا؛ قيل: إن الربيع وقتادة قد قالا: إن هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع . [5]

المثال الثاني:

قوله تعالى:﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ ﴾ [طه: 27 – 28]، وهذه الآية تدل على أن نبي الله موسلا يُفقه قوله عند الحديث، وهذا معارض في ظاهره لما صرحت به آيات أخر من إجابت دعاء موسى بحل عقد لسانه ليفقه قوله، قال الشنقيطي: لا يخفى أنه من سؤل موسى الذي قال له ربه إنه آتاه إياه بقوله: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦ ﴾ [طه: 36]، وذلك صريح في حل العقدة من لسانه، وقد جاء في بعض الآيات ما يدل على بقاء شيء من الذي كان بلسانه كقوله تعالى عن فرعون:﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ

[1] كعباش، نفحات الرحمان، (276/14)

[2] أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، ت: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت–لبنان، د.ن،(3/ 516)

[3] ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط:1، 1419 هـ -1998م ، (20/ 105)

[4] الطبري، جامع البيان، (24/ 25)

[5] المرجع نفسه، (24/ 26)، ينظر: الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، (251)

مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الزخرف: 52]. وقوله تعالى عن موسى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [القصص: 34].

في خضم تفسير كعباش لهذه الآية الكريمة، ودفعا للتعارض المتوهم بين الآيات؛ أوّل آية الزخرف تأويلا يجعل الآيات الواردة في ذات الموضوع متوافقة، فقد نفى أن يكون نبي الله لا يفقه قوله بعد أن استجاب الله دعاءه، إنما تعنت فرعون وجبروته من جعله يعيب موسى عليه السلام بعاهته القديمة قبل أن يمن الله عنه بإجابة دعاءه، حيث قال :" والأخس من ذلك أن يصف فرعون موسى باللّكنة والعيّ، تلك الآفة التي عافاه الله منها مستجيبا دعاءه : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه: 27 – 28]، فقال تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه: 36] .[1]

وهذا ما وضحه المرموري في مختصر بيوض حيث قال: "إشارة إلى هذا الاحتباس الذي كان في لسانه قبل أن يزول"، أما بعد الرسالة وبعد أن استجاب الله لموسى فقد حلت العقدة، سأل موسى ربه أن يحل عقدة من لسانه ليفصح كلامه؛ فيفهموه ويفقهوا قوله؛ لأن الكلام الفصيح أقرب إلى الفهم والفقه والقبول" [2]، ويوضحه أيضا قول الزحيلي: "لا يكاد يبين الكلام، لما في لسانه من لكنة أو عقدة، وهذا بحسب علمه الماضي، ولم يدر أن اللّه تعالى أزال عقدته" . [3]

4.3 المسألة الرابعة: مسلك التوقف.

أما المسلك الأخير الذي لجأ إليه كعباش في التعامل مع آيات الذكر الحكيم المشكلة هو التوقف، "وهذا التوقف إلى أمد، وليس إلى الأبد، إذ لا بد من العمل بالنصوص، وإنما هذا من عدم معرفة الباحث، أو المجتهد في معرفة الراجح من النصين" . [4]

وقد استعمل كعباش التوقف في المتشابه من آيات الصفات؛ ومن أخص المسائل التي خالف فيها الإباضية هي مسألة الرؤية فهم يقولون بعدم الرؤية لا في الدنيا ولا في الآخرة، لذلك سنحاول أن نقف على تفسيره لبعض الآيات التي ورد فيها تصريح بالرؤية والتي تخالف قوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: 103].

المثال الأول:

في قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: 22 – 23]، توقف كعباش في تفسير النظر في الآية واكتفى بذكر الأقوال الواردة في الرؤية، فقال:" قال الإمام علي : ينتظرون إذن ربهم بدخول الجنة . كما يراه الإباضية والمعتزلة، أو هي بمعنى النظر العيني البصري، وليس بمعايير المألوف الأرضي تعالى الله عن ذلك، ولكن بمعايير النشأة الأخرى نفوض فيها الأمر إلى الله وذلك لأنها من أمور الغيب المطلق كما يراه أهل السنة . ولسنا في حاجة إلى الخوض في ذلك الجدل الطويل بين المتكلمين، فلكلّ من الكافين للرؤية والمثبتين لها أدلته وحججه، ومن قلد عالما لقي الله سالما" . [5]

---

[1] كعباش، نفحات الرحمان، (365/12)

[2] الناصر المرموري، مختصر تفسير بيوض – سورة مريم الكهف طه الأنبياء، للناصر المرموري، د.ن، (270)

[3] مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط:2، 1418 هـ ،(25/ 167)

[4] أحمد سالم عبد العزيز، الأحاديث التي ظاهرها التعارض في فتح الباري، رسالة علمية مقدم لنيل درجة العالمية (الماجستير)، د.ن. www.ketabonline.com، 2021،23:30/10/08 ،(38)

[5] كعباش، نفحات الرحمان، 235/ 14))

اتخذ كعباش موقفا حياديا فلم يُبدِ ميله إلى أيِّ رأي رغم أن مذهبه العقدي، يأوِّل الآية بما لا يجعلها دالة على تحقق رؤية الله عز وجل يوم القيامة، وهذا ملاحظ في التفاسير الإباضية فقالوا: أي : تنتظر الثواب[1]، أو" منتظرة متشوقة الى رحمة ربها" [2]، أو "ناظرة نعمة ربها" . [3]

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: 15]، سار كعباش في تفسير هذه الآية على نفس المنوال الذي فسر فيه آيات الرؤيا الآخرى، فقد اكتفى فقط بذكر الرأيين دون ترجيح أو جمع، حيث قال :"وعن مصيرهم المشؤوم جزاء تكذيبهم بدأ الله بحرمانهم من النعيم الروحي الذي يتمتع به الأبرار، وهو حجبهم عن رحمة الله ورضوانه، أو – عن جلال ربهم ولذة النظر إلى وجهه الكريم عند من يقول بإمكان الرؤية في الأحرف وهي لا تتاح –إن تحققت– إلا للروح التقية والقلب الوفي والنفس المطمئنة الأمين" . [4]

فعند تفسيره الآية لم يبين موقفه ولم يفصح عن عقيدة مذهبه في الرؤية، في حين أن كل المفسرين الإباضيين فسروا الآية بما ينفي دلالتها على الرؤية، منهم الإمام اطفيش الذي يظهر تأثر كعباش به حيث قال في كتابه هميان الزاد:"وقد فسره ابن عباس وعلي ومجاهد بانهم منعوا من الرحمة وأعظم الحجج ان الرؤية تستلزم اللون والله لا يوصف به وتستلزم الادراك وهو لا يدرك والاحاطة ولو نوعا من الاحاطة"[5]، وقال في التيسير:" ممنوعون عن رحمته وليس منها رويته تعالى لاستحالتها"[6]. وفسرها هود بن محكم بقوله:"أي : عن ثواب ربهم لمحرومون" . [7]

وقد وافق في تفسيره قول الطبري الذي اقر باحتمال الآية لكل الآراء ولا يوجد ما يرجح أحدها عن الآخر حيث قال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون. ويحتمل أن يكون مرادا به الحجاب عن كرامته، وأن يكون مرادا به الحجاب عن ذلك كله، ولا دلالة في الآية تدل على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى، ولا خبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت حجته. فالصواب أن يقال: هم محجوبون عن رؤيته، وعن كرامته، إذ كان الخبر عاما، لا دلالة على خصوصه" . [8]

4. خاتمة:

في ختام هذا البحث خلصنا إلى مجموعة من النتائج نذكر منها:

1 – يعتبر كعباش من أبرز المفسرين المعاصرين الجزائريين الذين خدموا القرآن تدريسا وتفسيرا شفويا وكتابيا.

2– اهتم كعباش بدفع الإشكال في المواضع التي يراها حقا موضع إشكال، واعرض في كثير من المواضع عن ذكر اشكالها، لأنه مما يُزال بتفسير الآية وتوضيح المراد منها .

3– تنوع المسالك التي استعان بها كعباش في دفع الإشكال عن آيات القرآن الكريم .

---

[1] ينظر: هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، ت:بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م، (4/ 166) سعيد الكندي، التفسير الميسر، ت: مصطفى بن محمد شريفي ومحمد بن موسى باباعمي. سلطنة عمان.د.ن، (1/ 3)

[2] هميان الزاد إلى دار المعاد، امحمد اطفيش، (12/ 356)

[3] ينظر: امحمد اطفيش، تيسير التفسير ، ت:إبراهيم بن محمد طلاي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 2004م، (427/15)

[4] كعباش، نفحات الرحمان، (334/ 14)

[5] هميان الزاد إلى دار المعاد، امحمد اطفيش، (15/ 25)

[6] امحمد اطفيش، تيسير التفسير، (16/ 117)

[7] تفسير كتاب الله العزيز، هود بن محكم الهواري، (4/ 206)

[8] جامع البيان، الطبري، (24/ 205)

4- القول بالجمع إن أمكن ويقدمه على غيره من المسالك لأن فيه إعمالا للآيات المتعارضة كلها، وقد أكثر من استعماله.

5- إذا استحال الجمع بين الآيات قال بنسخ المتقدم بالمتأخر، لا يشير غالبا إلى وجود نسخ إلا في الآيات الواضحة النسخ .

6- مسلك الترجيح يلجا إليه لفض النزاع القائم حول تفسير الآيات.

7- مسلك التوقف واضح لدى كعباش في الآيات التي هي محل اختلاف بين الفرق.

8- سلك محمد كعباش منهجا واضحا في طريقة عرضه للآيات المشكلة تمثل في:

- يستعين بأقوال المفسرين عند دفع الإشكال .
- دفعه للإشكال يكون غالبا بعبارات موجزة .
- لا يشير إلى وجود إشكال او تعارض بين الآيتين بلفظ صريح إلا نادرا .
- يكتفي أحيانا بتفسير الآيات المتعارضة كل في موضعها، دون الإشارة للتعارض.
- أحيانا لا يذكر الآيات المعارضة للآية ويكتفي فقط بالإشارة أنها توجد آيات أخرى.
- في حالة أنه يرى الجمع بين الأقوال الواردة في الآية يذكر جميع الأقوال.
- أحيانا لا يذكر اختلاف المفسرين في الآية بل يذكر مايراه راجحا من الأقوال فقط.

5. قائمة المراجع:

1. ابن أبي زَمَنِين المالكي، تفسير القرآن العزيز، ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ط:1، 1423هـ - 2002م.

2. ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط:1، 1419 هـ -1998م.

3. أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ت: عدد من الباحثين أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، ط:1، 1436 هـ - 2015 م.

4. أبو الحسن علي الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق–سوريا، بيروت–لبنان، ط:1، 1415 هـ.

5. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت_لبنان، د.ن.

6. أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط:1، 1422 هـ - 2001 م.

7. أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس الأندلسي، أحكام القرآن لابن الفرس أحكام القرآن، ت: طه بن علي بو سريح وآخرون، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط:1، 1427 هـ - 2006 م.

8. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط: 4، 1407 هـ - 1987 م.

9. أحمد سالم عبد العزيز، الأحاديث التي ظاهرها التعارض في فتح الباري، رسالة علمية مقدم لنيل درجة العالمية (الماجستير)، د.ن. www.ketabonline.com

10. تقي الدين محمد بن أحمد المعروف ابن النجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير، ت: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط:2، 1418هـ - 1997 م.
11. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:1394هـ/ 1974م.
12. جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط:1، ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي - 1404هـ - 1984 م
13. رقية دريردي، القصص القرآني من خلال التفاسير الإباضية الحديثة والمعاصرة، تحت إشراف:حدة سابق، رسالة دكتوراه، منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، كلية أصول الدين، 2020/2019م.
14. سعيد الكندي، التفسير الميسر، ت: مصطفى بن محمد شريفي ومحمد بن موسى باباعمي. سلطنة عمان.د.ن.
15. سعيد حوّى، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة–مصر، ط:6، 1424 هـ.
16. عبد الله حمد منصور، مشكل القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض_السعودية، ط1، 1426هـ.
17. عبير بنت عبد الله النعيم، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير - دراسة تأصيلية تطبيقية، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:1، 1436 هـ - 2015 م.
18. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط:3، 1420 هـ.
19. القرافي، الذخيرة، ت:جزء 1، 8، 13: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط:1، 1994 م.
20. محمد اطفيش، تيسير التفسير ، ت:إبراهيم بن محمد طلاي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 2004م.
21. محمد الأمين الشنقيطي ،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 م.
22. محمد الأمين الشنقيطي، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع : مكتبة الخراز – جدة، ط:1، 1417 هـ - 1996 م
23. محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط:5، 2001 م.
24. محمد الطاهر بن عاشور ، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.
25. محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط:2، 1419هـ-1999م
26. محمد بن ابراهيم سعيد كعباش، نفحات الرحمان في رياض القرآن، جمعية النهضة، غرداية-الجزائر، د.ن.
27. محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبه السن، القاهرة– مصر، ط:2، 1423 هـ - 2003 م.
28. مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، ت: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم - الكويت، 1400هـ.
29. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط:1، د.ن
30. الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النَّحَّاس، ت: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، ط:1، 1408هـ.
31. ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1 ، 1418 هـ
32. الناصر المرموري، مختصر تفسير بيوض - سورة مريم الكهف طه الأنبياء، للناصر المرموري، د.ن.
33. هميان الزاد إلى دار المعاد للقطب امحمد اطفيش، النسخة الالكترونيةhttps ketabonline.com ://:
34. هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، ت:بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م.
35. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - دمشق،ط:2، 1418 هـ